دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فرجيل والنبوءات القاتلة
المصدر:	الموقف الأدبي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	ورور، حسين
المجلد/العدد:	مج45, ع537
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	يناير
الصفحات:	33 - 44
رقم MD:	736562
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الرواية العربية، النقد الأدبي، الحليل الأدبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/736562

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فرجيل والنبوءات القاتلة

حسين ورور

بدأ فرجيل في ملحمته الإنيادة بالعبارة التالية:

"للسلاح أغني وللرجل الذي كان أول من جاء به القدر شريدا من سواحل طروادة إلى إيطاليا وشواطئ لافينيوم، يضرب على غير هدى، بقوة من السماء، في أفاق البر والبحر بسبب غضب جونو الذي لا يعرف الصفح، وقاسى كثيرا في الحرب أيضا كي يستطيع أن يؤسس مدينة ويأتي بإلهته إلى لاتيوم حيث أتى الجنس اللاتيني، وسادة ألبا، وأسوار روما الشاهقة إلى الوجود".

فرجيل عاش في الفترة بين ٧٠ -١٩ ق.م والرجل الذي يغنيه هو إينياس بطل ملحمته الإنيادة.

وفرجيل لم يكن أول من تناول أسطورة إينياس الواردة في إلياذة هوميروس؟ فقد سبقه إليها في الأدب الروماني كل من إنيوس في الحوليات، ونايفيوس في ملحمته الحرب البونية، ومن بعده أفيديوس في قصيدته التحولات؟ غير أن فرجيل رأى في هذه الأسطورة، ما لم يره سواه، وقد وضح ذلك (فرانك ميلر) بقوله" رأى فرجيل في هذه الأسطورة قصة مثيرة وملهمة، وشعر بهذه الإثارة وهذا الإلهام، وبهذه الأسطورة دون غيرها إمكانات لتحقيق غرضه"...

وأستدعي هنا كلمات الشاعر بروبرتيوس الذي قدم الإنيادة للقراء الرومان في عصره ويذكر أنه عاش في الفترة ما بين ٥١ –١٨ ق.م إذ قال:

"انسحبوا أيها الكتاب الرومان، انسحبوا، أيها الإغريق، فشيء أعظم من الإلياذة سيولد".

ما هو هذا الغرض؟ هنا السؤال الذي سأحاول الإجابة عنه...

ولا بد في هذه الحال من سرد ما ورد في الإنيادة، وما ذكر حولها، وحول الظروف التي دفعت فرجيل لكتابتها، وقد تبين لي أن كتابتها لم تكن بريئة إلا في مظهرها، وأن الذي كتبها شاعر له الحق –كما يحق لأي شاعر بل لأي فنان – في اللعب بالتاريخ والأحداث وفق رؤياه وفرجيل في اتكائه على إلياذة هوميروس، فعل ذلك ليثبت جدارته الإبداعية في تقديم نفسه كند لهوميروس الإغريقي، وتكون الإنيادة المقابل الفني والتاريخي للإلياذة عند الشعب الروماني، فيركز على أسطورة إينياس الواردة في الإلياذة والأدويسة ويعدل ويضيف ويحذف متجنبا أن يقتفي الأثر بدقة، أو أن يقلد تقليدا بلا هوية، على حد قول عبد المعطي شعراوي في تقديمه لترجمته للإنيادة، باستناد إلى ما قاله مفكرون غربيون حول هذا الأمر، مثل جريفن الذي قال أيضا : لا شك أن فرجيل كان مدركا لهذه الصعوبة منذ شرع في كتابة ملحمته.

ففي الإنيادة، تبدأ أسطورة إينياس بخروجه من طروادة بعد هزيمتها وسقوطها بيد الإغريق، واشتعال النيران بها، فيفر إينياس ومعه أبوه أنخيسيس وابنه أسكانيوس والألهة الحامية (بينتيس) وبرفقتهم مجموعة من الأبطال الطرواديين، متجهين جميعا من الشرق إلى الغرب من طروادة عبر البحر المتوسط إلى إيطاليا، وحتى لا يبدو إينياس هاربا، فقد قضت الأقدار بان يذهب إلى إيطاليا ليؤسس وطنا قوميا، وهو ما سيعرف فيما بعد باسم روما المدينة التي ستحكم العالم، أي أن انتقال الطرواديين إلى إيطاليا حدث مهم لنشأة روما ووصولها إلى أن تكون قوة عظمى في العالم، وحدثا مهما للشعب الروماني، غير أن الربة (يونو) تقف له بالمرصاد. يقول فرجيل الشاعر بهذا الصدد:

"قصي علي ربة الشعر، أي نوع من الأذى قد مس ربوبيتها، وأي نوع من الأحداث قد أغضبها، حتى أنها قد دفعت برجل معروف بتقواه، ليكابد مثل هذه المخاطر الكثيرة، ويواجه مثل هذه الصعاب العديدة. أيمكن أن يستقر مثل هذا الغضب الأحمق في صدور أرباب السماء؟".

ويقول في الملحمة أيضا: ساتورنوس"

الربة يونو، زوجة كبير الألهة جوبيتر، وساتورنوس هو أول ملك أسطوري على إقليم لاتيوم، وهو من أدخل الزراعة والحضارة إلى إيطاليا، وقد عرف بان عصره هو العصر الذهبي في إيطاليا، وهو يقابل كرونوس عند الإغريق –فالربة يونو... وقد ازداد غضبها أكثر فأكثر من جراء ذلك قذفت على صفحة البحر كله بالطرواديين الذين أبقى عليهم الإغريق، وأخيل القاسي، وساقتهم بعيدا عن لاتيوم مشردين تطاردهم الأقدار، في جميع أنحاء البحار أعواما عديدة ".

(وللتذكير، فإن أخيل هو البطل الأسطوري الذي كان أحد أهم قادة الحملة الإغريقية على طروادة، كما وصفته إلياذة هوميروس) ...

تقول الباحثة د. ماجدة النويعمي على لسان روبيرت كوليمان:

"ويهيمن على ملحمة الإنيادة ويحرك أحداثها قوتان: القوة الأولى هي القدر الذي يقضي بذهاب الطرواديين إلى إيطاليا، وهذا هو الحدث الجوهري في قصة مولد الشعب الروماني، ومن ثم ظهور روما كقوة عظمى تسيطر على العالم أما القوة الثانية التي تحرك أحداث هذه الملحمة فهي الآلهة الفردية، وكل له إرادته المستقلة، وهذه الآلهة مصورة بأشكال وعقليات وسلوكيات بشرية، على نحو ما صور (هوميروس) آلهته بصورة بشرية، وقد تتعارض إرادة الآلهة الفردية مع مشيئة القدر من ذلك على سبيل المثال، كل ما تعرض له البطل إينياس من معاناة كان بسبب تعارض رغبة الربة يونو مع مشيئة القدر، والسبب في ذلك، هو كراهيتها لطروادة من ناحية، وخوفها من عظمة روما المقبلة، من ناحية أخرى، على اعتبار أنها تهدد آمالها التي تتطلع إلى تحقيقها بخصوص قرطاجة، وعلى جانب آخر، فالربة فينوس، لأسباب شخصية هي الأخرى تناصر إينياس (ابنها)، وتؤيد مشيئة القدر إلى حد كبير، ونجحت في ذلك عن طريق تجنيد عدد من الآلهة لمساعدتها، ومنهم مثلا إله البحر تيتونوس لضمان عبور الطرواديين بأمان من صقلية إلى إيطاليا في المرحلة الأخيرة من رحلتهم، وطلبت المساعدة أيضا من زوجها الإله فولكانوس إله الحدادة والنجارة ليصنع درع إنياس التي ارتداها في معاركه الأخيرة. أما كبير الآلهة يوبيت فميشئته تمثل مشيئة القدر، واتضحت هذه الإرادات جميعها من خلال أحداث الملحمة.

قدم فرجيل بطله إينياس الورع البطل المثالي لروما القديمة مجسدا به فضيلة الورع الرومانية، وتشمل واجبات المرء تجاه الآلهة والوطن والأسرة والأجداد، وفي هذا السياق وصف إيناس نفسه بقوله: "أنا إيناس الورع".

يحكي فرجيل المغامرات التي خاضها إينياس حتى وصل في النهاية إلى الأرض الإيطالية، وفي إحدى مراحل رحلته ألقت به الأقدار في موقع مدينة قرطاجة على ساحل شمال أفريقيا، وفيه التقى بملكتها ديدو التي وقعت في حبه...

وعودة إلى الكتاب الأول من الإنيادة نرى أنه في تلك الرحلة وقبل، وبمجرد اقترابه من صقلية، بل وكاد يصل إلى الساحل الغربي لإيطاليا حتى قابلته المخاطر، فقد طلبت الربة يونو من إله الرياح أيولوس أن يثير عاصفة بحرية:

"أي أيولوس لأن أب الآلهة ورب البشر قد وهبك القدرة على تهدئة الموج وأثارته باستخدام الرياح، فإن ذرية بغيضة إلى تركب البحر التيراني، وهي تحمل إلى إيطاليا ما كانت تحتويه قلعة طروادة من آلهة مقهورة، فلتبعث القوة في رياحك، ولتغمر سفنهم الغارقة، ولتدفع بهم أشتاتا في كل اتجاه، ولتنشر جثثهم فوق سطح المحيط".

تعلق الباحثة د. ماجدة النويعمي على ذلك بقولها: "لاحظ أن جميع المحطات التي اختارها فرجيل لتتوقف عندها رحلة إينياس لها هدف سياسي متعمد لخدمة خطته وهدفه بالقصيدة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الجغرافية السياسية للرحلة".

أتابع: أجابها أيولوس إلى مطلبها، وكان من نتيجة هذه العاصفة أن ألقت بسفن إينياس على شاطئ مملكة ديدو في قرطاجة وويصف فرجيل قرطاجة على أنها مدينة شرقية مزدهرة ولم يحاول إخفاء إعجاب إينياس بها، بل وإعجابه الشخصي بها، ويؤلف أروع قصة حب لتعد أسطورة إينياس وديدو من أمتع وأشهر الأساطير الرومانية، وهي في نظر بعض من أبناء جلدتنا قصة إنسانية مشوقة، وتمثل الصراع بين الحب والواجب ...

وكانت سميت بـ (المرأة القائد) بعد وفاة زوجها، ثم فرارها من مدينتها الأصلية صور، من بطش أخيها بيجماليون وتحملها مشاق تأسيس مدينتها قرطاجة.

يصف فرجيل مدينة قرطاجة وعظمتها، ويصف أهليها فيقول:

"إنهم كالنحل في مطلع الصيف بين الحقول المزهرة" ... "فالنحل يتحمل أعباء القادمين، أو يطرد من بين صفوفه، في طابور عسكري اليعاسيب ذلك القطيع الخامل، إن العمل يزدهر، والعسل يفوح بعبق الزعتر.

وعلى لسان إينياس يقول:

"أيها المحظوظون ... يا من تعلو الأن مدينتكم" وهنا لا نزال في الكتاب الأول من الإنيادة ...

تقول الباحثة ماجدة النويعمي: "لعل إعجاب إينياس بهذا الشعب نابع من إحساسه بتحضره وكفاحه، أما حسده فلأنه لم تواته الفرصة بعد كي يحقق لشعبه، أي لأتباعه من الطرواديين، مثل هذه العظمة".

وأنا أقول: إنه حلم فرجيل وحسده، بخاصة حين يصف إينياس وهو يتفحص كل شيء في المدينة، ويصف بدقة المعارك الطروادية المصورة ببراعة فنية فائقة على جدران معبد يونو بقرطاجة، كل ذلك الافتتان قبل أن تفتنه الملكة ديدو الفينيقية القرطاجية، وقبل أن يقع في حبها وتقع صريعة في حبه.

يصف فرجيل مجيء ديدو البالغة الفتنة والجمال، واقترابها من المعبد، حيث موقع العمل، تتوسط مجموعة من الشباب بكل بهائها وهيبتها، ويشبهها فرجيل بالربة ديانا التي تفوق كل الربات برأيه، ويصفها بـ " المرأة القائد"، وقد أصدرت أوامرها وتعليماتها بتوزيع العمل، ثم استمعت لأحد الطرواديين بطلب المساعدة، ويصفها فرجيل بالملكة العادلة ويشيد بهذه العدالة وبتعاطف هذه الملكة مع أبناء شعبها دون تمييز، وتلتقي إينياس والطرواديين وتتفهم قضيتهم بتعاطف شديد، وتهدئ روعهم، وتثني على إينياس، وأبطال طروادة، وتعرض عليهم إما الرحيل بأمان، والمساعدة بالمال، أو البقاء

في مملكتها على قدم المساواة معها، دون أي تمييز بين الطروادي والقرطاجي، وكان إينياس غائبا في المناطق المجاورة، فأرسلت في طلبه، تقول الأسطورة ولهذه الكلمات التي سمعها منها اهتزت مشاعره، "فمثل أمامها بعد أن انشقت السحابة المحيطة به، والتي كانت تخفيه، مفصحا عن شخصيته وبادلها الحديث" وشكر لها صنيعها، وتمنى أن تكافئها الآلهة.

صورها فرجيل متسمة بالورع كإينياس، وكريمة مع الطرواديين، إذ أقامت لهم وليمة هائلة، برزت من خلالها مظاهر الترف والرفاهية والرخاء بأبهة ملكية تحسد عليها.

تطلب ديدو من إينياس أن يروي لها قصته من أولها قائلة: "قص لنا أيها الضيف القصة من بدايتها، ثم أضافت: تحدث لنا عن غدر الإغريق، وعن مصائب رفاقك، وعن تجوالك، لأن هذا هو الصيف السابع الذي يحملك متجولا فوق كل الأراضي البحار".

يروي إينياس لها كيف سقطت طروادة، وفراره منها مع مجموعة كبيرة من رفاقه الطرواديين، حاملا والده أنخيسيس على كتفيه، ويقول: "استولت على الدهشة عندما وجدت عددا ضخما من الرفاق الجدد نساء ورجالا ومجموعة كبيرة من الشبان وجمهورا بائسا، لقد نزحوا جميعا استعدادا للذهاب إلى المنفى، لقد أتوا من جميع الجهات مستعدين نفسيا وماديا للذهاب إلى أي أرض غير البحار، أرغب أنا أن أقودهم إليها، لقد أشرق نجم الصباح على جبل إيدا (هذا الجبل في جزيرة كريت وقد ولد فيه الإله جوبيتر) وجاء النهار مع شروقه، والإغريق يحاصرون مداخل الممرات والبوابات، ويسيطرون عليها، ولم يكن هناك أمل في وصول أي مساعدة، فرحلت وأنا أحمل والدي متجها صوب الجبال".

ويستمر تصويره للمخاطر التي تعرض لها في غمار البحار، حتى وصل إلى ساحل أكتيوم.

(وهذا الساحل هو نتوء بحري، ومدينة في إيبروس، وقعت عندها موقعة أكتيوم الشهيرة في ٣١ ق.م انتصر فيها أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوبترا).

أتابع: ثم لقاؤه بالعراف هيلينوس بن برياموس ملك طروادة ... يتابع ويقول:

"سلكت طريقا في مياه ليبيا الضحلة، التي تشع خطرا بصخورها المتوارية، بعد أن استقبلني مرفأ (دريبانوم) بشاطئه الخالي من البهجة، وهنا ويعد أن طاردتني زوابع بحار عديدة، فقدت وأأسفاه سلوتنا في كل هم وضيق، فقدت والدي أنخيسيس، هنا تركتني يا أفضل والد متعبا، وأأسفاه عليك".

يختم إينياس قصته للملكة بقوله: "كان ذلك آخر متاعبي، كان ذلك نهاية تجوالي الطويلة فبعدما رحلت من هناك، دفعتني الآلهة إلى شواطئكم".

يقول فرجيل: "هكذا كان الوالد إينياس يروي بمفرده على الحشد المتلهف قصة المصير الذي رسمته له الآلهة، ويشرح تفاصيل تجواله، ثم توقف أخيرا عن الكلام، وركن إلى الراحة بعد أن أنهى قصته".

ثم ينتقل فرجيل إلى الملكة ديدو التي وقعت في حب إينياس، فيقول:

"أخذت الملكة وقد أصيبت بجراح الحب الموجعة، تغذي جرحها بالدماء التي تجري في شراييها، وأضحت طعمة للهيب الأعمى، ظلت خصال بطلها (إينياس) العديدة وعراقة محتده تتردد في مخيلتها، ظلت نظراته ونبراته عالقة بشغاف قلبها، ولم يدعها الحب تهدأ أو تركن للراحة".

ثم يأتي حديثها لأختها "أنا":

"أنا، أختاه، ترى أية أحلام هذه التي تزعجني، وتشتت أفكاري! أي ضيف غريب هذا، الذي وفد إلى ديارنا؟! ما أنبل محياها يا له من شجاع ثابت الجنان. بارع في استخدام السلاح في الحرب! إني لمؤمنة أيما إيمان، وانه لإيمان صادق بانه من سلالة الألهة؛ فالخوف يفضح النفوس الرعديدة. آه! يا لها من أقدار تقاذفته. يا لها من حروب خاضها في شجاعة وصبر تلك التي رواها لو لم أكن قد وطدت العزم، وآليت على نفسي ألا أرتبط بزواج قط. بعد أن خذلني حبي الأول وأحبط أملي بالموت، ولو لم أكن قد سئمت فراش الزوجية ومشاعل الزفاف. لولا ذلك، فلربما كنت قد استسلمت لإرادتي الضعيفة. أنا سوف أكاشفك الأن بسري فبعد أن قتل زوجي التعس سخايوس، وبعد أن دنس أخي المنزل بجريمة القتل هذه، فإن هذا الرجل أينياس، هو الذي سيطر على مشاعري، وغزا قلبي المرتجف، وعرفت فيه مرة أخرى لوعة حبي
القديم. لكن ليت الأرض تنشق عميقة فتبتلعني؛ أو ليت الأب القدير جوبيتر يقذفني بصاعقته إلى ظلام إريبوس الحالك وإريبوس هذا هو إله الظلام، ويشير إلى العالم السفلي) وليله الدامس، ألا ليت كل ذلك يحدث قبل أن أنتهك حرمتك يا ربة الحياء. أو أخرج على سنتك. فإن هذا الرجل، أول من اتخذني زوجة له. قد حمل عواطفي، فليته يحتفظ بها، يصونها في قبره".

يأتي دور فرجيل الذي يصف فيه حال ديدو الملكة العاشقة:

"لقد ظلت نار الحب الدفينة مستعرة طوال الوقت في أحشائها، والجرح الصامت مقيما في صدرها، إن ديدو التعسة تحترق وتهيم على وجهها مخبولة في جميع أنحاء المدينة، كغزالة بعد أن أصيبت بسهم، يطاردها على البعد راع بين الغابات الكريتية، فارداها من دون أن تدري، وترك فيها النصل المجنح وهو يجهل ذلك ...".

قصة الحب هذه، جعلها فرجيل المحور الذي تدور عليه الأحداث المفضية إلى إقامة وطن قومي في إيطاليا لشتات الطرواديين بزعامة إينياس، ويفتعل فرجيل الأحداث المعرقلة لإينياس في تنفيذ ذلك. وكيف كان مسار هذه العرقلة كان بلجوء الربة يونو إلى الربة فينوس أم إينياس لتساعدها في تنفيذ خطتها من دون أن تفصح عنها، وتتفق الربتان على إيقاع ديدو في حب إينياس كي تحاول أن يظل إلى جوارها، وبالتالي يتحقق ل (يونو) ما أرادت، وبالفعل وقعت ديدو في حب إينياس، وطالبته بان يبقى إلى جوارها، وكانت بذلك فريسة حب طاغ وقاهر، لأنه بتدبير إلهي؛ ففي الكتاب الأول من الإنيادة جعل فرجيل الربة فينوس تفكر في حيلة تشعل قلب ديدو بنار الحب، إذ طلبت من ابنها إله الحب أن يظهر في صورة (اسكانيوس) ابن إينياس لهذا الغرض ...

يقول:

لكن الكيثرية كانت تقلب في صدرها حيلا، وتدبر خططا جديدة: أن كيوبيد، بعد أن يتغير وجهه وملامحه، يأتي بدلا من الوسيم اسكانيوس، فيلهب الملكة بهداياه إلى حد الجنون، ويبث نار الحب في عظامها".

(والكيثرية هنا هي الربة فينوس نسبة إلى جزيرة كيثيرا في بحر إيجة، وهي مشهورة بعبادة فينوس التي يقال إنها ولدت في المياه القريبة من شواطئها، حسبما تقول المراجع).

(وكنا لاحظنا أن جوبيتر مرتبط بالقدر، يصور لنا فرجيل إينياس بانه موجه من القوى العليا في كل تحركاته، ويتم تذكيره بمهمته من خلال النبوءات، أو الأحلام، وتتحكم فيه بصورة لا إرادية قوى خارج إرادته، من دون أن تكون له شخصية مستقلة، ليبدو في نظر الجميع ورعا، وأداة طيعة بيد القدر، وهو بحاجة إلى التدخل المتكرر من الآلهة لاستكمال الحكاية، والآلهة هنا بيد القدر الذي هو فرجيل) ...

ونرى في الكتاب الرابع أن يونو وفينوس حاكتا خدعة لديدو، وذلك بان دبرتا لقاءها بانياس ورتبتا لما سمي زواجا. تقول الملحمة في كتابها الرابع:

"عندما أدركت زوجة جوبيتر العزيزة أن ديدو قد غدت أسيرة لمثل هذه العاطفة المهلكة، وأن حرصها على سمعتها قد عجز عن الوقوف في وجه انفعالها، خاطبت ابنة ساتورنوس فينوس بهذه الكلمات:

ليس هناك شك في أنك وابنك ستحظيان بثناء عظيم، وتفوزان بغنائم طائلة، وصيت ذائع إذا ما هزمت امرأة واحدة بأحابيل اثنين من الأرباب، ولم يغب عن فطنتي أنك تتوجسين خيفة من حصوننا، وأنك تراقبين بعين الحسد أبنية قرطاجة الشامخة ... لكن ما الغاية من هذا؟ أو إلى أين ينتهي بنا مثل هذا الصراع؟

أليس من الأفضل أن نعقد صلحا مستديما، ونسعى في إنجاح زواج مستقر؟ فهل أنت حققت كل رغباتك!، اكتوت ديدو بنار الحب، واجتاح الانفعال، بناء على رغبتك جسدها ... دعينا نحكم هذا الشعب معا، ونضعه تحت قيادة مشتركة، ولندع ديدو حرة في أن تربط نفسها بزوج، وأن تعهد إليك بالصوريين كمهر تقدمه عند زواجها! "

"أذعنت الكيثرية (فينوس) لطلبها من دون معارضة لأنها فطنت إلى خديعتها".

فديدو هنا لم تخطئ بحبها هذا فهو عاطفة لا مرد لها وكيف إذا كان للآلهة دور به؟

وإينياس وقع أيضا فريسة هذا الحب أيضا، ولكن فرجيل صور الحب على أنه عاطفة ذات نتائج مدمرة، وعلى رجل السياسة أن يتجنبه ويتحرر منه، ولكن إينياس انساق لهذا الحب، وكاد ينسى رسالته المقدسة التي أوحيت له من الأقدار. من الآلهة، مما حدا بكبير الآلهة جوبيتر أن يرسل رسوله الإله (ميركوريوس) ليذكر إينياس برسالته التي تقضي بان

يذهب إلى إيطاليا ويؤسس الجنس الروماني هناك، حيث يصير الحكم في إيطاليا، بل والأرض الرومانية من نصيب ابنه اسكانيوس. يقول جوبيتر مخاطباً ميركوريوس:

"أي بني، هلم بسرعة واستدع زفيروس (وزفيروس هو إله الرياح الغربية الدافئة)، ولتهبط بجناحيك، وتخاطب بنفسك الأمير الدرداني (أي القرطاجي نسبة إلى داردانوس الجد الأسطوري للطرواديين) الذي يتلكأ الأن في قرطاجة الصورية، غير عابئ بما منح له من مدن على يد ربات القدر، ولتحل له رسالتي هذه عبر الأثير فليس هو بذلك الرجل الذي وعدتني به أمه فائقة الجمال، ولا من أجل هذا أنقذته أمه مرتين من سيوف الإغريق؛ بل عليه أن يكون ذلك الشخص سيحكم إيطاليا، المنعمة بالسلطان، والصاخبة بنذر الحرب، والذي سينجب سلالة من دم (تيوكر) النبيل (وتيوكر هو أول ملك لطروادة)، والذي سيخضع العالم باسره تحت سيطرته؛ فإذا لم تبعث فيه كل هذه المأثر الجليلة الحمية، وإذا لم يحاول هو نفسه الإقدام على عمل جاد يحفظ به سمعته، فهل سيغبط كاب اسكانيوس على القلاع الرومانية؟ ماذا ينوي أن يفعل؟ ولأي هدف يتلكأ بين شعب معاد؟ وكيف لا يهتم بذريته الأوسونية) وبالحقول اللاتينية؟ فمره الإبحار؛ ولتكن هذه فقط رسالتنا إليه" ...

(الأوسونيون هم سكان وسط وجنوب إيطاليا، ويطلق اسم أوسونيا على جنوب إيطاليا، وأحيانا على إيطاليا ككل).

وعلى الفور ينفذ ميركوريوس المهمة الموكلة إليه، ويطير إلى قرطاجة، وهناك أبصر إينياس وهو يشيد القلاع والمباني، فتوجه إليه قائلا:

"أفقد انتهى بك المطاف إذن! إلى أن ترسي قواعد قرجاطة الشامخة، وأن تشيد مدينة جميلة، وأنت منقاد لهذه المرأة. غافل. وأأسفاه، عن مملكتك وعن شؤونك الخاصة؟

إن كبير الألهة الذي يسيطر بمشيئته على السماوات والأرض، قد أرسلني بنفسه إليك من ذرا الأوليمبوس اللامعة، وهو الذي أمرني بان أحمل إليك تعليماته عبر هذا الفضاء السريعة؛ ماذا تعتزم أن تفعل؟ ولماذا تقضي وقتك في الأراضي الليبية؟ فإن لم يكن هناك أي مجد من مآثرك هذه يوثر عليك، ولم تحاول فوق ذلك القيام بعمل من أجل سمعتك، فضع في اعتبارك (اسكانيوس)، الذي بدأ يشب عن الطوق، والآمال المعقودة على وريثك (يولوس)، الذي سيؤول إليك ملك إيطاليا، والأراضي الرومانية". (يولوس هو الاسم الآخر لإسكانيوس بن إينياس).

كان خياران أمام إينياس؛ إما تنفيذ قرار الآلهة، أو الاستجابة لعاطفة الحب لديدو والبقاء إلى جوارها. ويصور فرجيل محاولات ديدو المستميتة وتنازلاتها له كي يبقى عندها، ولكن دون جدوى، واستأنف رحلته إلى إيطاليا...

وهناك من الدارسين مثل (فيني) رأى أن قصة ديدو هي كناية عما يجب على أي سياسي أن يضحي بكل رابطة شخصية عند الضرورة لتساعده في الإبقاء على الهدف السياسي!

ورأى (كيننيث مكليش) أن الورع الذي كان مفتاح شخصية إينياس تمييزا له عن أية شخصية أخرى، جعلته قويا وطورت علاقته بديدو (بصورة تثير احترامنا لعقلية مبدعة!!؟)

وهناك من كان واقعيا أكثر فهذا (أوتيس) يرى أن فرجيل لا يكتفي بقراءة عقول شخصياته، بل ينقل إلينا ردود فعله الخاصة عليهم وعلى سلوكهم.

أما (نايت) فكان وسطيا في رأيه إذ قال: في هذا السياق إنه من الصدق أن نقول إن أعظم الأعمال الفنية لا يمكن إخضاعها لتصنيف صارم.

و(ميشلز) قالت: إن أحد الأدلة على عظمة الإنيادة هو أن كل جيل يقرأها بوجهة نظر جديدة، وفق ما تقررها تجربته الخاصة. وقيل الكثير من قبل الدارسين حول فرجيل وملحمته، أعود له بعد الانتهاء من الحديث عما آل إليه مصير ديدو واينياس ...

ف (ديدو) بمجرد أن شاهدت رحيل الأسطول الطروادي عن قرطاجة انتابها اليأس واستسلمت لمناجاة حزينة، فعبرت عن ندمها الممتزج بالحسرة على ما فعلته من أجله، وهددت وتوعدت، وأنزلت عليه اللعنات، ووصلت هذه المناجاة إلى قمتها باللعنة التي أنزلتها بإينياس، وبكل نسله... وتتابع:

"وإذا كانت قرارات جوبيتر تنص على هذا، وإذا كان هذا هدفه الراسخ، فليكتب عليه أن يستجدي المعونة مثقلا بالحرب، منفيا من وطنه محروما من عناق ابنه يولوس، وأن يشهد بعينيه مصرع رجاله، غير مأسوف عليهم، وألا يستمتع بمملكته أو رغبته في الحياة، بعد أن يستسلم تحت ضغط شروط مجحفة للصلح، بل أن يسقط صريعا قبل الأوان، ويظل غير مقبور وسط الصحاري".

وأكثر من ذلك لقد طلبت من أهل صور مدينتها الأم، لأن يحملوا كل نوع من العداوة لنسله من بعده، بقولها الذي يتضمن مدلولات سياسية هي العلاقة العدائية بين روما وقرطاجة. تقول:

"وأنتم يا أهل صور، تعقبوا حينئذ بالعداوة نسله وكل ذريته المقبلة، ثم قدموا كل هذا قربانا إلى رفاتي ... لتنعدم المحبة

والوفاق بين شعبينا، ولينهض من عظامي منتقم يطارد الدردانيين المستوطنين بالشعلة والسيف الأن وفيما بعد، في الوقت الذي يتزود فيه بأسباب القوة. إنني أتوسل إلى الآلهة أن تظل شواطئهم، ومياههم معادية لمياهنا أو أسلحتهم معادية لأسلحتنا، وأن يظلوا هم وأحفادهم في شقاق مستمر معنا".

وتقرر ديدو بعد ذلك أن تنهي حياتها، فتنتحر، وتنقل (فأما) ربة الشائعة نبا انتحارها في المدينة، ويقع هذا الخبر كالصاعقة على أختها(أنا).

وبالتالي فإن العداء بين قرطاجة وروما أدى إلى سقوط قرطاجة، وهو السقوط الذي كان في عقل فرجيل المقبل على أيدي الرومان، ورسالته في تأسيس الجنس الروماني.

تصف الإنيادة عودة إينياس بالقول:

يستأنف إينياس رحلته إلى إيطاليا، أرض الميعاد، ومرة أخرى تثور عاصفة قوية توجه سفنه إلى شاطئ صقلية حيث يزور قبر والده أنخيسيس، ويقيم أتعابا جنائزية إحياء لذكرى مرور عام على وفاة والده ويشكر الرياح التي أوصلته إلى هذا البلد الصديق، والمشيئة سوف تجعله يؤدي طقوس تقديم القرابين لروح والده بعد عام في مدينته روما التي سيشيدها تكريما له. يحضره والده في المنام ويطلب منه أن يصطحب معه إلى إيطاليا صفوة الشباب، وأشجعهم قلبا لأن عليه أن يخضع قوما خشنا غير متحضرين في إقليم لاتيوم، وعند مدينة كوماي على خليج نابولي تقوده العرافة سيبيلا إلى العالم السفلي حيث يلتقي بشبح حبيبته المنتحرة ديدو، ورآها تتجول بين نساء في غابة فسيحة وجرحها ما زال حيا، وبدأ يتحدث إليها وهو يبكي، بكلمات تفيض بالحب، وبعد أن يشرح لها ظروف تخليه عنها يقول لها:

"أقسم لك بالنجوم وبآلهة السماء، وبكل ما هو مقدس في أعماق الأرض أنني أيتها الملكة ما رحلت عن شاطئها إلا كرها، فالآلهة التي تدفعني على المجيء إلى هذه الظلمات، وإلى الأماكن المقفرة الوعرة، وإلى الليل السحيق، هي التي أرغمتني على ذلك بأوامرها الخاصة ...".

يشيح ديدو بوجهها عنه، ولم تتغير ملامحها، وكأنها قدت من صخرة صلبة، فيما كان يهدئ من روحها الثائرة، وهي لا تبالي به.

كذلك يلتقي إينياس في العالم السفلي بوالده في الأليسيوم وهو مقام النعيم، ويتنبأ له أنخيسيس والده بعظماء التاريخ الروماني المقبلين من نسله والأبطال الذين سيولدون لروما، وسيكون لهم أكبر شان بها، منذ تأسيسها وحتى عصر الإمبراطور أوغسطس بما يغطي فترة تزيد على الألف عام، ويذكرنا فرجيل إلى أن إينياس هو جد أوغسطوس بقوله:

"اسمع يا بني لسوف تملأ روما الأرض بإمبراطوريتها الأرض والسماء بقوتها... والأن وجه ناظريك هذه الناحية لترى هذه الأمة. إنها الأمة الرومانية. أمتك. ها هو قيصر وكل سلالة يولوس، وها هو الرجل البطل، أوغسطوس قيصر بن المؤله الذي سيعيد العصر الذهبي إلى سهول لاتيوم... و".

يريد شبح والده أن تكون عظمة روما أكبر من عظمة الإغريق الذين يتفوقون في الأدب والفن والفلسفة والقضاء وعلم الفلك، والعلوم النظرية. يقول:

"أما أنت أيها الروماني فرسالتك هي أن تحكم شعوب الدنيا بسلطانك وبراعتك هي أن تنشر أسس السلام".

وفي حروب إينياس فيما بعد، وقد ساعد الإغريق الطرواديين ضد الإيطاليين، طلبت (فينوس) من زوجها فولكانوس، إله الصناعة والحدادة أن يصنع أسلحة لابنها إينياس، ومنها الدرع الشهيرة التي صورت عليها مشاهد من تاريخ روما المقبل ... يقول فرجيل:

"على تلك الدرع صور إله النار تاريخ إيطاليا وانتصارات الرومان، وهو غير جاهل بتنبؤات المتنبئين، بل عالم بما سيقع في العصور التالية. صور عليه جميع الأجيال التي انحدرت فيما بعد من أسرة (اسكانيوس)، والحروب التي وقعت، واحدة بعد أخرى".

وأهم هذه المشاهد المصورة على الدرع معركة أكتيوم البحرية التي دارت بين أنطونيوس وكليوباترا من جهة، وبين أوكتافيوس من جهة أخرى في العالم ٣٢ ق.م

أما وسط الدرع فقد صور أسطولا من السفن ذات المقدمات البرونزية و(حرب أكتيوم) وتدور الحرب المنظمة، والأمواج بلون الذهب، والقيصر أوغسطس يسانده أعضاء مجلس الشيوخ وأفراد الشعب، يرافقه آلهة (البيناتيس) والآلهة العظام وهو يقود الإيطاليين إلى ساحة القتال، واقفا على سطح سفينة حربية شامخة.

أما نهاية الملحمة فكانت عند مقتل الشاب بالاس من قبل تورنوس، واستيلاء الأخير على أسلحته والتمثيل بجثته (ذلك حدث في الحروب البونية الشهيرة) وتعقد هدنة بين الروتوليون والطرواديين من أجل دفن بالاس، ويقترح الملك لاتينوس السلام، بينما يرفضه تورنوس الذي أصر على الاستمرار بالحرب.

وفي الكتاب الثاني عشر (الأخير) من الإنيادة تجري الاستعدادات للمبارزة الفردية بين تورنوس وآينياس على قدم وساق ويذعن تورنوس لقبول المبارزة، وينتصر آينياس عليه فيطلب العفو، ولكنه يرفض حين رآه متمنطقا بسلاح صديقه بالاس، ويسدد له الضربة القاضية التي تنهي حياته، وتنهي هذه الحرب في لاتيوم، وتنهي الملحمة بأكملها، وبمقتل تورنوس يتغلب آينياس على آخر عقبة أمام عظمة روما...

يرى بعض الدارسين الغربيين أن الإنيادة قد حققت هدفها الوطني.

أما الباحث (جريجوري أستالي) فيرى في دراسته "أن كل خلق ينشا من دمار، وهو المغزى من فكرة إنشاء روما من رماد طروادة، وأنه من أجل أن نحيا لا بد من أن نقتل روحا أخرى، ولكي تولد روما لا بد

من أن تسقط شعوب ومدن أخرى ضحايا، ويضيف: هذه هي الازدواجية المخيفة للوجود الإنساني التي عالجها فرجيل ... ويرى الباحث (سيجال): أن نهاية الإنيادة، إذا ما انتقلنا من السياسة إلى الفن، قد تعكس قبول فرجيل– لضرورة العنف والألم والتضحية –لكل عمل إبداعي سواء أكان تأسيس مدينة، أو كتابة قصيدة ملحمية".

***

وبعد كل هذا لا بد من الملاحظات التالية:

– تنبا جوبيتر في الكتاب الأخير من الإنيادة أن الرومان سيتفوقون على البشر والآلهة في التقوى والورع، ويذكر التاريخ أن رأس الهرم في روما نيرون وبعد أكثر من مئة عام على نبوءة جوبيتر يحرق روما.

– كما رأى أكثر من مؤرخ أن فرجيل صور آينياس مسلوب الإرادة من قبل الآلهة، وأنه موجه من القوى العليا في كل تحركاته، ويتم تذكيره دائما بما عليه أن يفعل من خلال النبوءات أو الرؤى، وليست له شخصية مستقلة.

وأخيرا لقد أشار أحد شراح التاريخ (سرفيوس) في القرن الرابع الميلادي في تعليقه على الإنيادة إلى مخالفة فرجيل لحقائق التاريخ في هذه الملحمة بانه جعل آينياس يشاهد قرطاجة، على الرغم من أنها تأسست حسبما ثبت قبل تأسيس روما بنحو سبعين عاما. ولكن مضى ٣٤٠ عاما بين سقوط طروادة، ونشا ة روما...